AL YAMAMAH مجلة أسبوعية شاملة تصدر عن مؤسسة اليمامة الصحفية

اليمامة

NO:2729
13 أكتوبر
2022 م
17 ربيع الأول
1444 هـ

9771319029600

المتحف الوطني .. مرجع تاريخي ومعلم ثقافي وحضاري.

معرض «التفكير المضياف».. نقاد أمريكيون يتناولون تجربة عبد الناصر غارم.

مقبل الذكير ..
مؤسس أول مكتبة عامة في نجد.

عاتق البلادي..
علاّمة الحجاز ومؤرخه الجغرافي.

العقوبات البديلة..
تحقيق مقاصد الشريعة.

حديث الكتب

قراءة في ديوان..

"كأن شيئا لم يكن" للشاعر سعد عبد الله الغريبي.

شعر الومضة الذي يقوم على المفارقة.

د. عبد الحكيم الزبيدي

يمتاز شعر سعد عبد اللّه الغريبي بحرارة العاطفة وصدق المشاعر، وتمتاز ألفاظه بالسلاسة والبساطة والخلو من التعقيد، مع احتفاظه بالجمال والعذوبة:

ليس التكلُّف عادتي وطبيعتي
فالشعر عندي ما يقول جناني

إلا أن شعره لا يخلو من بعض الألفاظ الغريبة التي تدل على تمكنه من ناصية اللغة كما في قوله: (حين راحت ذكاءُ تطوي رِداها)، فـ(ذكاء) من أسماء الشمس التي ليست شائعة على ألسنة الناس. والشاعر يميل إلى الشعر المقفى (العمودي)، فنجد ديوانه يحتوي على خمسة نصوص فقط على نظام الشعر التفعيلي من بين (34) نصاً. ويُعد بحر الكامل من البحور الأثيرة إليه فعليه، تاماً ومجزوءاً، جاء (12) نصاً في الديوان، يليه بحر الخفيف (7) نصوص، ثم بقية البحور.

ويزاوج الشاعر في ديوانه بين الأبيات المفردة، أو ما يمكن أن يُطلق عليه "الومضة" التي تتراوح بين بيت وثلاثة أبيات، وبين القصائد المتوسطة (15-6) بيتاً، والمطولة التي تتراوح بين (20-40) بيتاً، وهو في كل حالة يعطي الموضوع ما يناسبه من شكل. فنجده يختار للمواضيع الوطنية والقومية، ولتلك التي تُلقى في الاحتفالات والمناسبات القصائد المطولة، وللوجدانية القصائد المتوسطة الطول، وللحكمة والغزل الأبيات المفردة. وسنحاول في هذه القراءة استعراض أمثلة من كل نوع من هذه الأنواع الثلاثة.

تتناسب القصائد المطولة مع المواضيع الوطنية، كما في قصيدته (غرة الميزان) التي كتبها بمناسبة اليوم الوطني الخامس والثمانين للمملكة العربية السعودية، وفيها يقول متحدثاً عن مؤسس المملكة وأبنائه:

قاد المسيرة في الجزيرة صقرُها
حتى استجاب لدعوة الرحمنِ
فتلاه أبناءٌ عظامٌ مثلُهُ
في النبلِ والإنصافِ والإحسانِ
حكموا البلاد وأهلها وضيوفَها
بالسُنّة الغراءِ والقرآنِ

وفيها يقول متغنياً بحبه لوطنه:

ستظل يا وطني عزيزاً شامخاً
ومؤيداً بعناية الرحمنِ
وأظل أكتب فيك غُرّ قصائدي
حتى تواري جثتي أكفاني

وحب الشاعر لوطنه لا ينافي حبه لأمته العربية، ومن حبه لأمته العربية ينبع حبه للغته العربية فهي رمز عروبته. يقول في قصيدة (أمنا الحبيبة):

كل القضية أنني متحمسٌ
للضادِ رمزِ عروبتي وإبائي
شَرُفتْ بوحي اللّه لما أُنزلتْ
آياتُه بحروفهِ الغرّاءِ

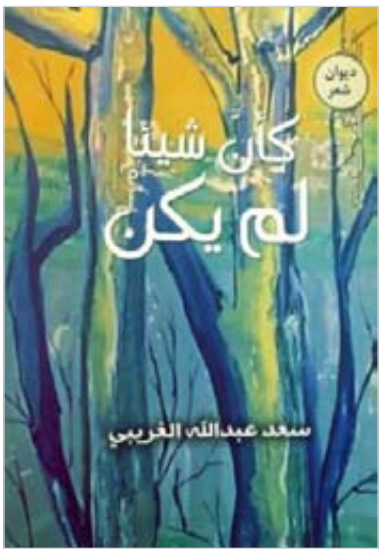

وفيها يقول، مشبهاً حبه للغته بحبه لأمّه:

لغتي كأمي إن يسيءْ أحدٌ لها
يصبحْ لديّ كأشرسِ الأعداءِ
ولسوف أمضي في الحياة مجاهداً
ومنافحاً عنها ولو بدمائي

ومن مطولاته قصيدة عنوانها: (تحية واعتذار إلى نزار قباني)، يعتذر في مطلعها لنزار عن الاتهامات التي كانت تُوجه إليه بأنه (زير نساء)، ثم يمتدحه قائلاً:

شاعرَ النُبلِ والمروءةِ حقاً
شاعرَ الوُدِّ والصفا والوئامِ
راعنا أن رميتَ أقلامَ وردٍ
وتحولتَ كاتباً بالحُسامِ
هالنا أن طرحتَ وردة حبٍ
وتخليتَ عن كؤوسِ المُدامِ

وللشاعر رأي مختلف في معلقة عمرو بن كلثوم، وذلك في قصيدة (قراءة جديدة في معلقة عمرو بن كلثوم)، فهو يرى أن عمراً لم يكن يستحق الزعامة لولا أن الأقدار

ساقتها إليه بوفاة والده فنصّبه قومه زعيماً لهم على حداثة سنّه. ويرى الشاعر أن عمراً خيّب رجاء قومه فيه بطيشه ورعونته، يقول:

همُ ظنوك صنو أبيك لكن
خذلتهمُ فخيّبتَ الظنونا
وأكثرتَ افتخاراً وانتشاءً
بأجدادٍ عظامٍ سابقينا
وحين أُسرتَ لم ينفعك فخرٌ
وزهوٌ بالجدودِ الأولينا

ثم يتحدث الشاعر عن ملعقة عمرو، فهو يرى أنها شغلت العرب عن الفعل بالقول والتغني بالأمجاد، فما هي إلا جعجعة بدون طائل. وفي هذا تعريض بالعرب اليوم الذين يتغنون بأمجادهم الغابرة دون أن يحاولوا إقامة أمجاد جديدة.

والقصيدة الوجدانية الوحيدة في المطولات هي قصيدة (ابنة البحر)، وفيها يحكي لقاءً يجمعه بمحبوبته على ضفاف الخليج:

قُرب شطِّ الخليجِ في يومِ سَعدٍ
سرتُ وحدي والناسُ حولي جِثيّا
فإذا بالجميلِ يخطو وئيداً
مطمئن الخُطى شَموخاً أبيّا
يزدهي الرملُ تحت وقع خطاهُ
ويميدُ القوامُ غضًّا نديّا

ثم يصف خلوتهما بعيداً عن العيون:

وانتحينا عن الطريق قليلا
واتّخذنا لنا مكاناً قصيّا
حيث بقيا حتى مالت الشمس للمغيب، فافترقا على وعد اللقاء:
حين راحت ذكاءُ تطوي رِداها
أن دنت ساعة الفراق فهيّا

أما القصائد متوسطة الطول (6-15) بيتاً فكلها قصائد وجدانية، وقد جاء طولها متناسباً مع موضوعها. ونجد في أغلبها حواراً بينه وبين من يحب، فمن ذلك قوله في قصيدة (الداء العضال):

قالت ويا عجبي لما أبدته من سوء المقالْ
دعنا نجربْ نبتعدْ عدداً قليلاً من ليالْ
لنعود بعد مُضيِّها أصفى من الماءِ الزلالْ

سعد عبد الله الغريبي

فالمحبوبة تطلب منه أن يبتعد كل منهما عن الآخر مدة من الزمن حتى يشتاقا لبعضهما وتشتعل جذوة الحب في قلبيهما، ولكنه لا يقبل هذه الفكرة التي يراها ضلالاً ويرد عليها قائلاً:

وأجبتُها متوددا: باللّه ما هذا الضلالْ
من ذا يجرب ميتةً حتى يرى صدق المآلْ
بُعد الحبيب حبيبتي صدقاً هو الداء العضالْ

ويصف الحب في قصيدة (معنى الهوى) بقوله:

الحبُّ إحساسٌ وفيضُ مشاعرٍ
وعواطفٌ جيّاشةٌ تحيينا
الحبُ طُهرٌ ساكنٌ أرواحَنا
وهديرُ شوقٍ عارمٍ يُذكينا

أما نصوص الومضة، فهي "نمط شعري يتميز شكله بالقصر مع شدة التركيز على معنى متوهج مكتمل"(الحوامدة، 2017م). وقد وردت في ديوان الغريبي عشرة نصوص من هذا النمط نثرها الشاعر في ثنايا الديوان ولم يفردها بقسم مستقل، بعضها تتكون من بيت واحد، وبعضها بيتان، وبعضها ثلاثة أبيات. وسنورد النص كاملاً فيما نستشهد به.

في نص (الشعر والحضور) يصف الشاعر سر جمال الشعر بقوله:

الشعر أجمل ما يُقالْ
وحضورُه سرّ الجمالْ
فإذا التقى جمعٌ بهيٌ
معْ قصائدَ كالزلالْ
لا تبحثن عن غيرها
هذا هو السحرُ الحلالْ

ومما جاء في الحكمة، نص (لا تبتئس):

لا تبتئس وأرجُ الإله فإنّهُ
مَن في يديهِ لكل همٍ مصرفُ

ونص (تحرير):

حرّرْ فؤادك من غلٍّ ومن حسدٍ
وحرّرْ العقلَ من جهلٍ وتقليدِ

ومما جاء في الغزل نص (حكايات الغرام):

كُلُّ الحكايا قد تُملُّ إذا أعيدت ثانية
إلا حكايات الغرام تظلُ دوماً زاهية

ورغم أن معظم نصوص الومضة الشعرية جاءت لدى الشعراء مكتوبة بأسلوب الشعر التفعيلي، إلا أننا لاحظنا أنها لدى الشاعر الغريبي جاءت بأسلوب الشعر العمودي، ما عدا نصين، أحدهما (كأن شيئاً لم يكن) الذي سُمِّي به الديوان:

ها نحن يا حبيبتي
قد اختلسنا ساعةً
في غفلةٍ من الزمنْ
وما لبثنا أن رجعنا
بعدها
كأن شيئاً لم يكنْ

ومن أهم خصائص شعر الومضة قيامها على عنصر (المفارقة) التي قد تأخذ صيغة مفاجأة أو تتمثل في إثارة الدهشة أو كسر توقع المتلقي أو السخرية، كما في نص (بائع الشعر):

قلنا: تبيعُ الشعرَ؟ قال: أبيعُهُ
هل ظلّ شيءٌ لا يباعُ ويُشترى؟
باعوا المبادئ والضمائرَ كلّها
لمَ لا أبيعُ دفاتراً أو أسطرا

المصادر والمراجع:

•الحوامدة، نجود عطاالله: الومضة الشعرية دراسة وتطبيق في شعر نبيلة الخطيب، مجلة معارف، السنة الثانية عشرة العدد 22 (جوان 2017)، ص ص 366-343

•الغريبي، سعد عبد اللّه: كأن شيئاً لم يكن، قلم الخيال للنشر والتوزيع، الرياض، 1437ه/2016م.